د . منى احمد محمد ابو زيد

الخير و الشر
في الفلسفة الاسلامية
دراسة مقارنة في فكر ابن سينا

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

WWW.ATHAREBARTAR.COM

اهداء

إلى أستاذي الجليل
الأستاذ الدكتور عاطف العراقي
تقديراً لعلمه واعترافاً بفضله

WWW.ATHAREBARTAR.COM

توطئة

إذا كان كثير من الباحثين قد قاموا بدراسة العديد من مجالات الفلسفة السينوية ، سواء كان هذا في المجال الطبيعي ، أو الإلهي أو عند الحديث عن النفس ، أو غيرها من مجالات ، إلا أن موضوع الخير والشر عند ابن سينا لم يكن من الموضوعات المطروحة للبحث بشكل مباشر وإن كان البعض قد تناوله من خلال أجزاء متفرقة من أبحاثه ، عند الحديث عن العناية الالهية ، أو من خلال الحديث عن تكوين العالم وما به من نظام أو غائية ، لكن دون تحديد لأهمية هذا الموضوع عند ابن سينا ، أو تحديد لما يتضمنه من أفكار .

ومن هنا ، كان الدافع لنا في تناول موضوع الخير والشر ، لأننا نعتبره من أهم المشكلات الفلسفية عند ابن سينا كما أن حله لهذه المشكلة قد جاء بأفكار اعتبرت الرابط الداخلي الذي ربط جميع أفكاره وفلسفته وكانت الصبغة العامة التي صبغ بها دراساته ومعالجاته للموضوعات الفلسفية .

وتتمثل أهمية هذه المشكلة في فلسفة ابن سينا فيما يلي :

أولاً : ان مشكلة الخير والشر من أهم المشكلات الفلسفية التي تحتل أهمية كبرى عند ابن سينا وقد اهتم بدراستها اهتماماً كبيراً ، والأفكار التي قدمها لنا من خلال دراسته لأبعاد هذه المشكلة تعد أفكاراً بالغة الأهمية ، ويكفي ان نذكر انه عند تقديم تعريف الاصطلاح الخير والشر عند الفلاسفة ، نجد ان أكثر المعاجم الفلسفية تذكر تعريف ابن سينا للخير باعتبار أن هذا التعريف قد تأثر به الكثيرون من بعده سواء

WWW.ATHAREBARTAR.COM

كانوا مؤيدين أو معارضين ، فهذا التعريف الذي حدده يعتبر من أهم التعريفات التي قدمت عن الخير والشر بالإضافة إلى الأفكار التي عرضها من خلال تناوله لهذا الموضوع .

ثانياً : ان ابن سينا في هذه المشكلة يعبر عن السمة الغالبة في فلسفته ، وهي سمة التفاؤل التي تظهر في تفسيره لكثير من المجالات الفلسفية هذه السمة التي تقول ان الخير مقصود بالذات ، والشر مقصود بالعرض ، وان كل ما في العالم هو لأجل الخير ولأجل غاية ، وان وجود الشر هو قليل بل ان وجوده نفسه لأجل غاية ، فوجوده ضرورة تابعة لوجود الخير .

ثالثاً : ان هذه السمة الغالبة لا يخلو منها أي كتاب من كتب ابن سينا سواء تناول فيه بعداً فيزيقياً ، أو بعداً ميتافيزيقياً أو إنسانياً ، فهو وإن كان لا يذكر هذه المشكلة مباشرة في بعض الأحيان ، إلا أنها تظهر بطريق غير مباشر عند تناوله للظواهر المختلفة ، وتحديده لها وتحليلها بناء على هذه السمة ، وهي أنها تسير نحو غائية وخيرية .

رابعاً : أن هذه المشكلة تعتبر من أهم المشكلات التي تسيطر على العقل الإنساني والبحث فيها لم يتوقف على عصر ، أو مجتمع ، أو فلسفة معينة ، وربما نجد في أقوال ابن سينا في التعبير عن هذه المشكلة ما قد نصلح به حالنا في حياتنا المعاصرة .

فإذا كان كثير من مجالات فلسفته الطبيعية والعلمية ، أصبح غير صالح للإستفادة والتطبيق الآن بعد أن تغيرت النظرة العلمية بظهور العلم الحديث والنظريات الحديثة وأصبح الكثير من نظرياته الفلسفية التي بنيت على مسلمات علمية معاصرة لزمانه قد ثبت خطؤها وأصبحت مجرد تراث لفكر قديم قد لا يفيد ، إلا أن مشكلة الخير والشر لما لها من ارتباط بمجالات عديدة إنسانية أو إلهية ، يمكننا الانتفاع بها الآن ، وليس مبالغة أن نقول ان حياتنا المعاصرة بما فيها من مشكلات وأزمات وحروب ، وما قد يشعر به الإنسان من صراعات نفسية وصراعات خارجية ، يمكن أن يكون الحل فيها هو الأخذ بأفكار ابن سينا عن الخير والشر .

فالعالم الذي صوره لنا ابن سينا طبقاً لفكرته ، هو عالم جميل رائع الألوان ، متسق الصور لكل موجود مرتبة من الكمال خاصة به ، ودرجة من الخيرية مناسبة لدرجته من الوجود والكمال ، وهو وان كان عالماً محد ضيقاً إلا أنه عالم منظم

WWW.ATHAREBARTAR.COM

يسير نحو غائية وتتكفله العناية الإلهية ، فنحن في أشد الحاجة الآن إلى هذه النزعة التفاؤلية لمجابهة ما قد يواجهنا من مشكلات وصراعات نفسية وخارجية .

ولكن ما هي طريقة معالجتنا لهذا الموضوع ؟

سنحاول في معالجتنا لهذا الموضوع ان نهتم بجانبين :

الجانب الأول : اننا لن نقتصر على عرض رأي ابن سينا في مشكلة الخير والشر فقط ، لأن مثل هذا العرض سيجعل المشكلة مقطوعة الأطراف بغيرها ـ وهي كما سبق ان ذكرنا ـ سمة بارزة في فكر ابن سينا ولا يمكن توضيحها إلا من خلال معالجة ابن سينا لمجالات فلسفته المختلفة ، لذا سنتناول علاقة هذه المشكلة بغيرها من مشكلات فلسفية عنده ، لأن هذا سيؤدي إلى توضيح وتعميق وإحاطة أكثر لمفهومه في الخير والشر .

فهذه المشكلة ليست كغيرها من المشكلات الفلسفية عنده لها أبعاد وحدود صارمة تنتهي عندها إن هذه المشكلة تدخل في أكثر مجالات فلسفته ، كذا سنقوم بتحديد هذه الأبعاد ، وتوضيح صلتها بالخير والشر .

الجانب الثاني : اننا في تناولنا للأبعاد المختلفة لهذه المشكلة لن نقتصر على عرض رأي ابن سينا وحده ، لأن رأيه في هذه المشكلة ليس إبداعاً فردياً منه ، بل هو نتيجة لما تعرف عليه من ثقافات مختلفة سواء كانت فلسفات يونانية ، أو ديانات شرقية ، أو جانباً إسلامياً يتمثل في ثقافته وديانته وتعرفه على آراء الفرق الإسلامية المختلفة وكذلك الفلسفة الإسلامية .

وليس معنى ذلك ان أفكار ابن سينا في الخير والشر كانت مجرد ترديد لما سبق أن تعرف عليه ، كلا ليس هذا ما وجدناه عنده ، بل اننا نعتقد انه عند تحديد أي فكرة لأي فيلسوف لا بد أن نوضح المؤثرات المختلفة التي أثرت فيه ومدى استفادته منها ، ومدى اختلافه عنها حتى نحدد مدى الابداع الذي جاء به ، فكل فكر لأي فيلسوف أو علم لأي عالم هو نتيجة لما سبقه من فلسفة أو علم ، ثم جاء هو ليضع لبنة جديدة معتمدة على اللبنات السابقة أو مختلفة عنها حتى يتم بناء الفكر أو العلم الإنساني .

وقد تبين لنا إذن أهمية دراسة موضوع الخير والشر في فلسفة ابن سينا وأرجو أن أوفق في الوصول إلى حقيقة هذه المشكلة عنده ، وأوفق كذلك في أن أعرضها بشكل واضح .

WWW.ATHAREBARTAR.COM

وسنعرض لهذه المشكلة عبده من خلال ثلاثة ابواب ، نعرض في كل باب احد ابعاد هذه المشكلة .

في الباب الأول نقدم الأبعاد الميتافيزيقية من خلال أربعة فصول .

في الفصل الأول : يبحث عن مصدر الخير ببحثه عن أدلة وجود الله تعالى .
وفي الفصل الثاني : يصف طبيعة هذا المصدر بصفاته الدالة على الخير .
وفي الفصل الثالث : يعرض لفعله تعالى في إيجاد العالم وما يصاحبه من وجود للشر .
وفي الفصل الرابع : نعرض لرأيه في العلم الإلهي وإن العلم الكلي يؤدي إلى القول بأن العناية الإلهية كلية .

اما في الباب الثاني : نقدم الأبعاد الفيزيقية لمشكلة الخير والشر .
ففي الفصل الأول : نحدد علل الطبيعة وأن الشر يتعلق بالعلة المادية ، وأن الخير يتعلق بالعلة الصورية والغائية .

وفي الفصل الثاني : نقدم نقده للقائلين بانكار البخت والمصادفة وان اثبات الغائية في الطبيعة هو اثبات للخيرية ثم تحليل ابن سينا لما يوجد في الطبيعة من شرور .

وفي الفصل الثالث : نعرض لعالم الكون والفساد عن ابن سينا وأن العناصر الأربعة بينها تحول وتغير ، وان هذا التغير يؤدي إلى حدوث عدم ما وهو شر وإيجاد صورة أخرى وهو خير .

وأخيراً في الباب الثالث : نقدم الأبعاد الإنسانية لمشكلة الخير والشر .
في الفصل الأول : نعرض لتحديد ابن سينا للنظام الموضوع لخير الإنسان من حيث القضاء والقدر .
وفي الفصل الثاني : نعرض لعلاقة هذا النظام بما يصدر عن الإنسان من خير وشر ، وهل هو بفعله أم نتيجة لهذا النظام السابق .

وفي الفصل الثالث : نعرض لرأي ابن سينا في الثواب والعقاب ، وهل هما معاً خير أم ان أحدهما خير والآخر شر .

وفي الفصل الرابع : نقدم موضوع السعادة باعتبارها الخير الأقصى للإنسان ونعرض لطرق الوصول إلى تحقيق هذه السعادة كما يحددها ابن سينا .

WWW.ATHAREBARTAR.COM

ولما كانت هذه الدراسة أطروحة علمية قدمت إلى قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة وساهم في مناقشتها الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق أستاذ الفلسفة الإسلامية فإنني أتوجه بالشكر العميق له وكانت لملاحظاته العميقة أكبر الأثر في إعداد هذه الدراسة للنشر .

WWW.ATHAREBARTAR.COM

الباب الأول

الأبعاد الميتافيزيقية لمشكلة الخير والشر عند ابن سينا

حدود الخير والشر

يتـدفق ابن سينـا مـع الكثيـرين[1] على وجـود الخيـر والـشـر في العالم ، ويقر بهما كما أقر سابقه الفارابي بوجودهما حين قال : « أن أمور العالم

---

(1) تعتبر مشكلة الخير والشر من المشكلات التي شغلت أذهان الكثيرين منذ القدم ، فعند اليونان القدماء تناولها :

1 ـ سقراط ، وأفلاطون ، والرواقيون ، والكليبون ، وأرسطو .

2 ـ والسفسطائية ، والفوريثائية ، والابيقورية ، وان اختلف أصحاب القسم الأول في آرائهم عن أصحاب القسم الثاني .

اما عند العرب ، فلم تثر هذه المشكلة قبل الإسلام ويقال انهم كانوا يفعلون الخير لذاته . محمد يوسف موسى ـ فلسفة الأخلاق في الإسلام ص 20 . اما في الإسلام فقد اتخذ المسلمون من هذه المشكلة موقفاً عملياً ، فرأوا ان من الخير ان يعرف المرء الشر ليحذره ولا يقع فيه ، فقيل لعمر بن الخطاب (ان فلانا لا يعرف الشر ، قال : ذلك أحرى ان يقع فيه ، العقد الفريد جـ 2 ص 28) . وقال عمرو بن العاص « ليس لعاقل الذي يعرف الخير من الشر ، انما العاقل يعرف خير الشرين » ، المرجع السابق جـ 1 ص 369 ، وأيضاً محمد يوسف موسى ، فلسفة الأخلاق في الإسلام ، ص 32 . وقد تناول المتكلمون هذه المشكلة فقالت أهل السنة ان الخير والشر أمران إضافيان ، فالخير بالإضافة إلى شيء والشر بالإضافة إلى شيء آخر ، الشهرستاني ـ نهاية الاقدام ص 98 اما المعتزلة فقد تناولوا هذا الموضوع من خلال بحثهم في مشكلة الصلاح والأصلح ، وهل يصدر عن الله ظلم ؟ وعند الفلاسفة اختلف تعريفهم للخير والشر وان كانوا أجمعوا على وجوده . أنظر يوسف كرم ، العقل والوجود ، ص 127 ـ 135 .

WWW.ATHAREBARTAR.COM

وأحوال الإنسان فيه كثيرة ، وهي مختلفة ، ومنها خير ، ومنها شر »[2] .

ويحدد ابن سينا وجود الشر في الطبيعة بأنها تظهر من خلال ما ينتج عن النار من الاحتراق ، وما ينتج عن المطر من اغراق الزرع ، وعن الانهار من اغراق طفل صغير ، بل ان الشر يظهر في الإنسان من خلال الأخلاق الرديئة والمفاسد ، وما يصيبه من شرور مثل الموت والشيخوخة والمرض وغيرها من شرور ولذا يحدد ابن سينا الأوجه التي يقال عنها شر ، فيرى أن الشر يقال للنقص الذي هو مثل الجهل والضعف ، والتشويه في الخلقة ، ويقال شر لما هو مثل الألم والغم[3] ، كما انه يقال شر للأفعال المذمومة ، ويقال شر لمبادئها من الأخلاق[4] وغيرها . فهو يتفق على وجود الشر ويحدد له المجال الطبيعي والأخلاقي والميتافيزيقي[5] .

فما هي الظواهر والأبعاد التي يظهر فيها الشر ؟ ولماذا أوجده الله تعالى ؟ ولكي نجيب عن ذلك سنوضح الحدود التي يضعها ابن سينا لكل من الخير والشر لنرى أبعاد كل مدلول من هذين المدلولين ، وكيف يظهر ، ومدى أهميته في وجود الظواهر المختلفة .

أولا : حدود الخير

يعرف ابن سينا الخير بقوله « الخير بالجملة هو ما يتشوقه كل شيء ويتم به وجوده[6] ، لكننا نلاحظ ان هذا التعريف الذي يقدمه ، ليس تعريفاً علمياً ، ذلك ان التعريف العلمي هو ذكر خاصية جوهرية للشيء ، ولكن ما يذكره هو رسم يدل على الخير بقصد القاصد إليه ، وما يقصده القاصد هو كماله الذي هو خيره ، ذلك ان القاصد يطلبه ليتم به وجوده ، فالخير بناء على هذا هو كمال الوجود ، فكل كائن موجود تتحقق فيه نسبة من الوجود تكون هذه النسبة مساوية لنسبته في الكمال والخير ، فكل موجود هو خير طالما قد تحققت فيه صفة الوجود ولكن هذا الخير

---

(2) الفارابي ـ فضيلة العلوم ص 10 .

(3) ابن سينا ـ الشفاء ـ الإلهيات جـ 2 م 9 ف 6 ص 415 ، النجاة ص 284 ، الشهرستاني ـ الملل جـ 2 ص 1136 وأيضا جميل صليبا ـ من أفلاطون إلى ابن سينا ص 114 .

(4) ابن سينا ـ الشفاء ـ الإلهيات م 9 ف 6 ص 419 ، وأيضاً النجاة ص 288

(5) نجد ان هذا التقسيم عن ابن سينا قد عرف ذلك عند ليبنتز فقسم الشر إلى شر أخلاقي وشر فيزيقي وشر ميتافيزيقي يوسف كرم ـ ومراد هبه ـ المعجم الفلسفي ص 116 . وقد أجمع أغلب الفلاسفة والباحثين على هذا التقسيم للشر . محمد علاب ـ مشكلة الألوهية ص 92 .

(6) ابن سينا : النجاة ص 229 .

WWW.ATHAREBARTAR.COM

تختلف نسبته باختلاف نسبة وجوده وإدراكه لهذا الوجود .

وقد يقال ان هذا الخير وقف على من يدرك هذا الكمال ، أو هو وقف على الموجودات المدركة فقط إلا أن ابن سينا يرى عكس ذلك ، فكل الموجودات لها نسبة وأفعال معينة تفعلها ، وتتوجه إليها لتحقيق كمال وجودها ، مثال ذلك من الموجودات غير المدركة ، المادة مثلا فلها شوق وعشق غريزي[7] ، وكذلك كل الموجودات لها شوق وعشق إرادي وطبيعي[8] لنيل صورتها وكمالها ، فالموجودات سواء كانت مدركة أو غير مدركة لديها نزوع طبيعي إلى إدراك ما هو أعلى منها على أساس أن كل موجود أعلى يحتوي على خير أعلى ، ووجود أعلى .

ولا يعني ابن سينا من هذا أن الموجود الأعلى فقط هو الذي يحوي الخير فقط ، فإذا كان الله تعالى يملك أعلى وجود ، وأعلى درجات الخير ، فهذا لا يمنع الخير عن سائر الموجودات ، بل إذا كان الله غاية الكل وغاية الخير فهو خير أعظم يقصده الكل ، فكذلك سائر الموجودات تملك قدراً من الخيرية يتشوق إليه كل كائن أدنى إلى الكائن الأعلى .

يتضح مما سبق ان ابن سينا يساوي بين الوجود والخيرية ، فكل موجود له درجة من الخيرية ، والدليل على ذلك ان كل موجود هو أولاً موجود ، كما انه له نسبة من الكمال لأنه منظم في نفسه حاصل على ماهية متسقة العناصر قابلة للوجود .

وهذه العناصر المكونة له بها ترابط يجمع بينها ـ وهو ما سنراه بين ارتباط العلل عند الحديث عنها في الباب الثاني ـ وبين أطرافها برباط محبة وعشق من ذاته لذاته . فكل موجود بمجرد كونه موجوداً هو خير ، كما ان كل موجود ما هو إلا عنصر من العناصر المكونة للنظام العام ، فوجوده وإن كان به شر إلا انه ضروري في الحفاظ على النظام العام والخير ، كما إن كل موجود هو فاعل يحقق نظامه وخيره ، وهذا الفعل هو شوق طبيعي من الموجود لنيل كماله ، فكل موجود يتحرك بشوق غريزي لكي يحصل على كمال وجوده ، وهو ما سنشرحه بتفصيل أكثر عندما نتحدث عن الله باعتباره خيراً أقصى تتحرك نحوه الكائنات ، ونرى ان كل الكائنات لها عشق غريزي نحو خيرها الذي هو كمالها وكمال وجودها .

---

(7) ابن سينا : رسالة العشق ص 73 .

(8) ابن سينا : الإشارات ن 8 ف 9 ص 788 .

WWW.ATHAREBARTAR.COM